واوصافه كلها ذلك من عند الله تعالى بنعمه ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك
من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ساناجي ليله الا وانسان من آل داود قائم ولا ياتي يوم
الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة الا وعابد من آل داود يعبدك اما بصلاة واما بذكر فاوحى الله اليه يا داود ومن اين لهم ذلك اذ لا يمكن الاتي ولو لا عوني اياك ما قويت
وتشاكلك الى نفسك قال ابن عباس رضي الله عنه انما اصاب داود عليه السلام من الذنب
ما اصاب بعجبه بعلمه اذ اضافه الى داود من لابه حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا فاورثه الحزن والندم وقال
داود عليه السلام يا رب ان بني اسرائيل يسئلونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم مصرا
فقال يا رب انا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فاوحى الله اليه اما اني لم اخبرهم باي
شي ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا اخبرك في شهرك وفي سنتك ابتليك عند ايام راه فاحذر نفسك
فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا
فضل الله تعالى عليهم وقالوا لن نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاق عليكم الارض الاية وروي ان عيينة ان ايوب عليه السلام قال
الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما رددت علي امرا الا آثرت هواك على هواي فتودي من غمامة بعزة الاوصاف
يا ايوب اني لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ الرماد فوضعه على راسه وقال مثلك يا رب وجمع عن نسيانه
اضاف ذلك الى الله تعالى ولذلك قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من
احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ومهما خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنون
ان يكونوا ترابا وطرامع صفا اعمالهم وقاربهم فكيف يكون الذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل
ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج النافع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله
خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان
والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يكرم من يرى جنايته ويعطي
من يرى وسيلته لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء
وهذا لا يبقى معه عجب بحال بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه اعلم ان العجب بالاشياء
التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب
ثمانية الاول ان يعجب ببدنه وجماله وهيئته ومحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة
تفضيل خلقه فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو يعرض للزوال في كل حال

وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان
الناعمة انها كيف تمرغت في التراب وامتلت في القبور بحيث تقذرتها الطباع الثاني
القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها
فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فنقبها الله تعالى في عنقه وقد يتكل المرء ايضا
على قوته كما روي عن سليمن عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شاء الله
تعالى فحرمها اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة
الهجوم في الحرب والقاء النفس في المهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجهما
ذكرناه هو ان تعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها سلبه الله تعالى ذلك بادنى آفة يسلطها
عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وغرته
الاستبداد بالراي وترك المشورة واستحمال الناس المخالفين لرايه ويجر الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا
عنهم بالاستغناء بالراي والعقل واستحقارا لهم واستهانة وعلاجه ان يستدل الله تعالى على ما رزق من العقل
ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان
اعجب به ولم يقم بشكره ولم يستقصر عقله وعلمه ولم يعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما
جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان تهمة عقله ونظره الى
الحق كيف يعجزون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيجدر ان يكون هو منهم وهو لا يدري فان
القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من
اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا ينظر بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد
به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف كبني الهاشمية حتى ينظر بعضهم انه يحب بنسبه شرف نسبه
وتجاه ابائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالي وعبيد وعلاجه ان تعلم انه مهما خالف
اباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه لحق بهم فقد جهل وان تقتدي بابائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف
والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة
لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يوسر بالله تعالى
فكانوا عند الله تعالى شر من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب فقال تعالى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان التفاوت بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى النبي والملك
قال اكرمكم للموت ذكرا واكثركم له استعدادا وانما انزل الاية حين اذن بلال رضي الله عنه يوم الفتح على الكعبة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)